

المحاكاة الساخرة في رواية " سرادق الحلم والفجيعة " لعز الدين جلاوجي - قراءة في البنية والوظيفة -

الدكتور: عزوز قربوع

- جامعة سكيكدة -

azzouz.k21@gmail.com

ملخص المداخلة:

أتجهت كثير من الأعمال السردية الجزائرية خلال العقود الأخيرة، إلى تجاوز أسس فنية فرضتها الرواية التقليدية، والتي كان كل ما فيها منطقي ورتيب، حتى أن المنظرين للرواية في تلك المراحل، كانوا يؤسسون - بطريقة ما - لنمط سردي يتسم بالميكانيكية، الأمر الذي شكل نوعا خاصا من القراء يتوقعون سيرورة الأحداث ومصائر الشخصيات... إلخ .

لقد أضحت الرواية الجديدة كيانا دينامكيا يزخر بالثراء التجريبي، سواء على مستوى اللغة أو الفضاء أو الشخصيات، أو الزمن أو... إلخ، وظهرت العناية بالشكل مقابل إغفال المكونات الأخرى لا سيما ترتيب الأحداث، فبدت الرواية الجديدة بنية سردية متصدعة، تتناول على النموذج السائد في جميع المستويات .

في هذا السياق تحاول هذه الورقة الاقتراب من رواية تمتلك كثيراً من سمات التحول والخرق، هذه الأخيرة هي رواية : سرادق الحلم والفجيعة للكاتب الجزائري عز الدين جلاوجي؛ حيث سنركز مقاربتنا على جانب امتد عبر فصول الرواية من بدايتها إلى نهايتها، ويتعلق الأمر بالبروديا^(*) " الأسلبة الساخرة"، وهي ميزة تجريبية صادمة للقارئ، مكتنزة بدلالات تؤول إلى أنساق مختلفة؛ اجتماعية، سياسية، نفسية، فكرية...؛ نسعى - إن شاء الله - إلى تحديدها وكشف جمالياتها .

مهاده نظري:

يشكل نص عز الدين جلاوجي شبكة متناغمة دلالية، متداخلة لغويا وثقافيا مع أشكال أدبية ومرجعيات يعود بعضها إلى المعطى الإيديولوجي وبعضها الآخر إلى فضاءات تتقاطع مع ما هو تاريخي وسياسي... إلخ .

حاول من خلال هذا النسيج أن يضع القارئ في مواجهة مع الإشكاليات التي يزرع تحت وطأتها المجتمع، كما قصد تشريح البنى المتحكمة في سيرورة وصنع المعيش الذي يعكس وجود أزمات عميقة توجه اختياراتنا وتتحكم في المشهد العام للأمة .

ارتكز عز الدين جلاوجي في سبيل تحقيق هذا المشروع على استراتيجية سردية غير عادية، فقد أرادها أن تكون صادمة منذ الوهلة الأولى، فأول ما يواجهه به القارئ أثناء فتح هذه المدونة السردية هو تموضع الخاتمة في بدايتها، والمقدمة في نهايتها، قد يكون بهذا الإجراء الإبداعي يبتغي تصوير الواقع المقلوب رمزياً، والذي تدركه كل طبقات المجتمع - على اختلاف في كيفية الإدراك -، يعلن في المقدمة سكوت شهرزاد عن الكلام المباح حين (1)، وتولى كليلة ودمنة رواية تفاصيل المدينة المومس، لينتهي في الخاتمة إلى مشهد يعبر عن الضياع والفوضى والاضطراب من خلال كثرة التساؤلات(2) والاستفهامات والشكوك.

اتضح مما سبق أن نقطة الارتكاز الدلالية التي تتفرع عنها دروب المعنى المتشابهك تتمحور بين ثنائية الحلم والفجيرة، أو بتعبير آخر بين الواقع والمأمول بين الخير والشر، بين الأزمة والحل.

لم تكن استراتيجية الكتابة عند جلاوجي كما أسلفنا قائمة على تنظيم منطقي للأحداث ولا تعويل على معمارية لغوية عهدتها القارئ، ولا على شخصيات مألوفة في المخيال العام، كل ذلك كان غائباً في نص السرادق، ما كان حاضراً هو لوحة سردية تشكيلية تفنن الكاتب في التنسيق بين متناقضاتها . نص السرادق مثال للنص المفتوح الفسيفسائي الذي يشهر ويجهر بأطراره بطريقة عجائبية تصل إلى حد السخرية، نعم يحفل بشخصيات لها حضور تاريخي أو أدبي، ولكنها تحمل سمات مختلفة، نعم يعتمد على النصوص ولكنها تنعطف عن مساراتها وسياقاتها الأصلية، لتسر لنا برهانات دلالية متجددة إنسانياً على الرغم من اختلاف الإطار الزمني، والفضاء الجغرافي . بمعنى أن هذا النص ليس مشاهد وأحداث مركومة بل هو أيقونة ثقافية ومؤشر على دلالات ترتبط بوعي المتلقي، المتماهي مع المرجع الذي يبتغي الكاتب الإحالة عليه.

إن هذا الأمر يدفع القارئ إلى الرجوع بذاكرته القهقري، سعياً وراء تفكيك النص وترتيب معطياته وفق منطق تحتكم إليه العلاقات ما بين ذاتية، للوصول لاحقاً إلى مضممراته المتناغمة مع ملفوظاته وتجلياته اللغوية . يقودنا هذا الكلام حتماً إلى التساؤل عن تلك التجليات وعن نمط دينامكيتها في هيكلية نص السرادق .

إذا أردنا الحديث عن معمارية رواية السرادق فالحوارية قائمة بينها وبين هندسة ألف ليلة وليلة سواء من خلال تبين ترتيب مشاهدتها في شكل حكايات متنوعة، أو في استغلال أسلوبها السردية، كما أنها تتقاطع مع نصوص كليلية ودمنة بناءً على تسليم زمام السرد إلى كليلية ودمنة⁽³⁾، وإقحام عالم الحيوان (الغراب، الثعالب، الحلزون، الفأر...) في شبكتها الحكائية.

وفي إطار هذا المعمار استدرجت نصوص متنوعة [نصوص دينية، نصوص أدبية سردية وشعرية، وخطب، نصوص فلسفية...] .

إلى حد الآن نسجل تقاطع النص الجلاوي مع كثير من النصوص الأدبية في ميزة التداخل والمخورة، إلا أن التميز هو أسلوب المخورة وكيفية الحكاكة، وفي اعتقادي أن المجال المفصلي الذي يشكل حيز هذه المغامرة السردية ينحصر فيها (الكيفية)، والتي قلنا سابقاً أنها تركز على السخرية. لتغدو السخرية تيمة من جهة، وأسلوب من جهة ثانية، وإشكالية من جهة ثالثة.

I. مدارات "مستويات" الأسلية:

1. النص الديني: الأصوات والأصداء.

سبقت الإشارة إلى أن الكتابة هي سياحة بين رهان الجمالي والدلالي من خلال تشكيل لغوي يقوم على علاقات ما بين ذاتية يحكمها منطق يعود إلى وعي خاص، هو بمثابة خلفية لحركات الشخوص وسكناتها، ولسيرورة الأحداث وانعطافاتهما، وإذا أردنا الإمساك بجيوط هذا النسيج السردية في علاقته بالنص الديني / القرآني، فمنطق الصوت والصدى يقودنا إلى أن النصوص القرآنية المركزية في نص المدونة ترتبط بأحوال قرى ومدن سادها الفساد والطغيان والزيغ والظلال في أودية الحيوانية والأنانية... إلخ، وتشارك في النهاية المساوية بالطوفان أو الانهيار...

بمعنى أن النصوص القرآنية المؤسّلة تحتزن تجربة ما، تغدو بدورها رموزاً تعكس صورة ما على مستوى المرجع / الراهن المأزوم. ولعل إيراد بعض الشواهد يسمح لنا بملاحظة عمق العلاقة الدلالية بين النص المحاكي والنص المُحاكى، وكذا كيفية التحاور بين النصين، فضلاً عن الشبكة الدلالية العامة لها .

النص المحاكي	النص المُحاكى	الفضاء الدلالي / موضوع القيمة
" غير أن الملك شهرير أذاع يقينا أن ما حدث إن هو إلا أساطير الأولين، ابتدعتها شهرزاد وعجائز المدينة الماكرات... إن كيدهن عظيم " ص: 7	وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) الأنعام فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يوسف	- الجمود والإصرار على الاتباع الأعمى - إشارة إلى تكرار هذا النموذج في وقتنا الراهن - المؤامرة على الشرفاء والصادقين
" وأذن فيهم مؤذن الغراب فهرعوا ملبين ينسلون من كل فج عميق...عميق" ص: 13	وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٨) الحج وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) الأنبياء	- الكثرة والإقبال المباشر والتسليم. - الفساد - المصير المشؤوم المنتظر.
" وماهي إلا ساعات حتى كان النصب شاحاً...إلها جسداً له أنين...نعيق...جنير "	وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا جِسدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) الأعراف	- الإصرار على السير على غير هدى والقابلية للاستخفاف .

		ص: 14
العبودية المطلقة	قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) الإسراء	" وخر إلى الأذقان يجأر فخرروا معه ساجدين جائرين...ولهج بالورد المورد فلهجوا خلفه مريدين..." ص: 14
-اليقظة والرقابة .	إِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَمْ يَنَا حَاسِبِينَ (٤٧) الأنبياء	" لم أنطق بكلمة واحدة، ولا بنصفها، ولا بربعها، ولا أقل من ذلك، ولا أكثر، وإن يك مثقال حبة من خردل في فضاء سمواتي أو في أعماق أرضي " ص : 16
- السخرية والمراوغة	قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمَهْتَدُونَ (٧٠) البقرة	" الكل على شكل وشاكلة...لقد تشاكل البقر علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون " ص : 18
-الظلم سبب الهلاك والروال. -وضوح الرؤية -صعوبة تحقيق المأمول	وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) الكهف قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) الكهف	" تريد أن تبلغ مجمع البحرين...وقلبك معلق بالخوت...ولبك عاشق للعجل...عد اذبح العجل...و احي الخوت...و دون ذلك فلن تستطيع معي صبرا." ص : 19
- سوء الاختيار وتقدير الأمور يقود إلى الخيبة ولاسيما مع تهميش وإقصاء النخبة المستنيرة العارفة....	قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاءً سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) البقرة	" أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟؟ اهبطوا فإن لكم فيها ما سألتكم " ص: 20

<p>الظلال والزيغ الإدعان والخضوع</p>	<p>وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) النمل قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِئِي أَلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) النمل</p>	<p>" أنه من الغراب، وأنه باسمي العظيم أن أتوني خانعين ...خاضعين...تائبين ...عابدين...باخعين ...راكعين...ساجدين " ص: 28</p>
<p>الإصرار على التقليد وسد الباب في وجه أي تغيير التضليل والمراوغة</p>	<p>قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكَيْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) يونس قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) الشعراء</p>	<p>" واجتمعت العجائز عند بوابة البوالة البوالة واستحضرن كل الشياطين والعفاريت والمردة ويأجوج ومأجوج من كل حذب ينسلون وعلى كل ضامر يأتون...وحشر كل ساحر عليهم..." ص: 54</p>

2. النص الأدبي: المعمارية ونظام التشفير.

مستوى آخر حفل به نص السرادق، واغترف من معينه وعالمه، بل وبنى معماريته على مرتكزاته، واستوحى تجاربه وذاكرته، إنه المتخيل الأدبي بتمثيلاتة المختلفة المشبعة بأطياف إيديولوجية تؤكد مبدأ الحوارية (*) الباختيني، فالذات " المتكلمة لا تستعمل كلمات خاصة بها، بل تكون عرضة لدوال آتية من بعيد متحكمة في شوقها وتفكيرها، بحيث أنها لا تقول بالضبط ما تريد أن تقول، ولا تقول ما تريد أن تقول فحسب، ثم إن دلالة كلامها تتوقف على تقبل الآخر وتأويله " (4).

نميز في حوار الكاتب مع النص الأدبي أشكال تناصية مختلفة، فمرة عن طريق الإشارة ومرة عن طريق الاقتباس المنصص أو

المحور، وثالثة عبر تناص الشخصيات وأخرى من خلال الأسلبة، كل ذلك سعيا لرسم تنظيم علائقي يخدم الإطار الدلالي العام. و لعل هذا الجدول يجلي ذلك :

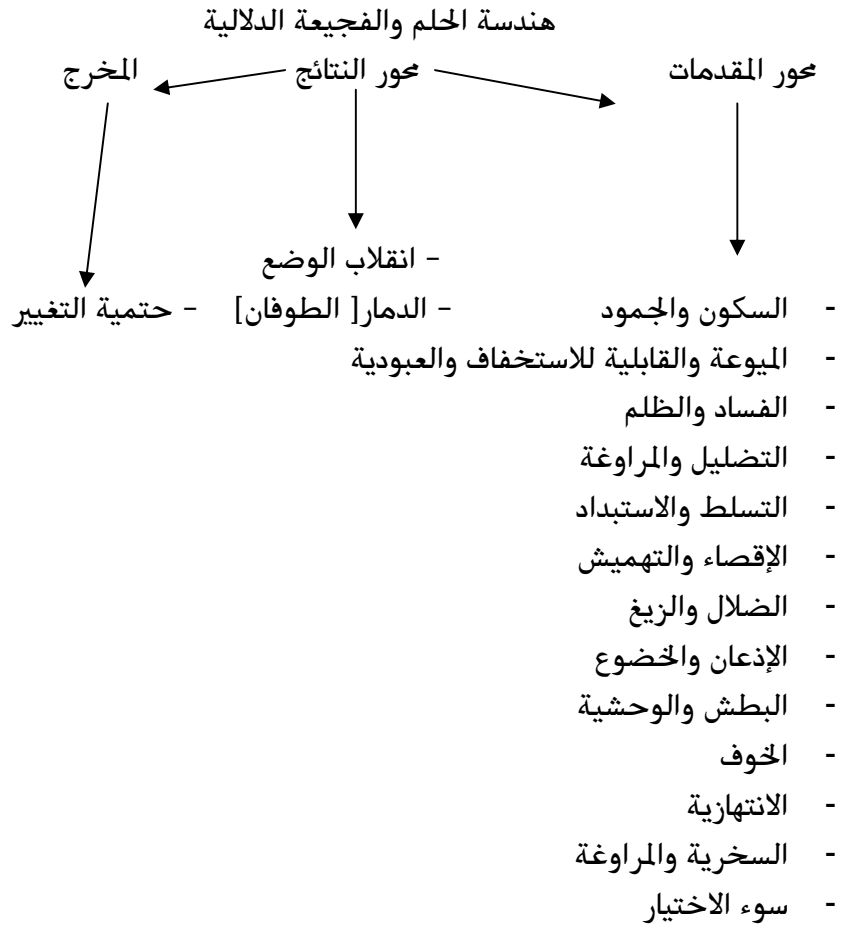
النص المحاكي	النص المحاكي	الفضاء الدلالي / موضوع القيمة
المدونة	- ألف ليلة وليلة: المقدمة، الخاتمة، غط السردي	الخوف، السيطرة ،البطش
المدونة	- كليلة ودمنة: استغلال الحيوانات	المكر، الانتهازية، الوحشية
" وجاءت من بعيد مجموعة من العبيد المناكيد يجرّون رجلا خلته العبسي من لحيته وقد نزت مذاكيره دما " ص: 29	<u>المتني</u> : قصيدة عيد ⁽⁵⁾ عبدٌ بآيةٍ حالٍ عدتَ يا عيدُ * * * بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ نأمت نواطير مصرٍ عن تعاليتها * * * فقد بشيمن وما تفنى العناقيدُ العبدُ ليسَ لِحَرِّ صالحٍ بأخ* * * تو أنه في ثياب الحرِّ مؤلودُ لا تشتر العبدَ إلا والعصا معه * * * إن العبيدَ لأنجاسٍ مناكيدُ ما كنت أحسبني أحيا إلى زمنٍ * * * يسىء بي فيه عبدُ وهو محمودُ	انقلاب الوضع، بتولي السلطة من لا يستحقها، بسبب انسحاب من يستحقها، بغض النظر عن سبب ذلك.

 وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةً**عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السَّوْدُ؟	
الإصرار والعزيمة.	<u>مفدي زكريا</u> : نشيد قسما ⁽⁶⁾ قسما بالنازلات الماحقات * والدماء الزاكيات الطاهرات	" قسما برفاة موتانا الناخرات ... قسما بأحلام المدينة الجميلات ... لأتركك عبرة لأولي الحماقات.ص:39
حتمية الخضوع للأمر الواقع	<u>خطبة طارق بن زياد:</u> ⁽⁷⁾ "يا أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وأن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهب رجمكم..."	" يا ... الأخدان...منقاري خلفكم ومخالي أمامكم، وحذري محيط بكم، وليس لكم والله إلا بطني، به تحتمون، وإليه تعودون، وحول كعبته تطوفون " ص : 28
التسلط والاستبداد	<u>خطبة الحجاج بن يوسف</u> <u>الثقفي:</u> ⁽⁸⁾ : يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحمل الشر بحمله،	" وإني أرى رؤوسا قد أينعت وحن قطافها...إن للشيطان طيفا وإن للسلطان سيفاً...و الله لو

<p>وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإنني لأرى أبصارا طالحة، وأعناقا متطاوله، ورؤوسا قد أينعت وحن قطافها، وإنني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحى تترقرق...</p>	<p>أمرت أحدكم أن يدخل من هذا البلعوم (وفتح فاه) فدخل في غيره لأجزن رأسه، بين وبين رقابكم حبل من مسد إن تجذبه تتدل أرجلكم الصفراء، تبيض عيونكم، تتهاوى ألسنتكم في الهواء، أو ترخوه سيروا في الأرض تساقط عليكم رحاتي، رضائي، وهذا من مبادئ جمهوريتنا العظيمة " ص : 28</p>
--	--

II. المحاكاة الساخرة والنقد الإيديولوجي:

متى أنصتنا لحكايات الشاهد / الراوي، وتوددنا للنصوص الغائبة لتبوح لنا ببعض أسرارها، أمكننا الشعور بحالة تأويلية تستقر على تيمة الاضطراع الأبدي بين الخير والشر، الحق والباطل، الصلاح والفساد، وسلمنا أن المعضلة الإنسانية يمكن إدراكها من خلال الفضاءات الدلالية التي تتقاطع فيها النصوص المحاكية مع النصوص المحاكاة، فالإنسانية متى اقتسمت التجارب نفسها آلت إلى المصائر نفسها، فهناك معطيات وثمة نتائج وهناك مخرج واحد؛ فالمدينة المومس تتقاطع مع القرى والمدن والأقوام البائدة المذكورة - على اختلاف حقبها التاريخية منذ زمن نوح مروراً بعهدي سليمان وموسى عليهم السلام، وصولاً إلى وقتنا الراهن -، في المقدمات والنتائج .
ولعل هذه الترسيمية تجلي أسباب الفجيرة وتحدد آفاق الحلم :



مما تقدم يتبين لنا أن نص السرادق هو تنويع وتحويل لنصوص مختلفة بعضها ديني وبعضها أدبي وبعضها فلسفي، وهي سمة لا تحتاج إلى من يجليها فهي تعبر عن نفسها، لكن الأمر الذي يثير التساؤلات هو طريقة المحاكاة، فهي كما أسلفنا تتبنى منطق السخرية التي " تقوم على عدم توافق نوايا اللغة المشخّصة مع مقاصد اللغة المشخّصة .."⁽⁹⁾، بحيث يُدخل المؤسلب " مادة اللغة "الأجنبية" في التيمات المعاصرة، ويجمع العالم المؤسلب بعالم الوعي، ويضع موضع الاختيار اللغة المؤسّبة، وذلك بإدراجها ضمن مواقف جديدة ومحالة بالنسبة لها. "⁽¹⁰⁾.

فعالية هذا الإجراء السردي في نص السرادق، مع النص الديني والخطابة بمولاتها التاريخية، تكمن في السعي لتكشيف مركزيتهم في الوعي الجمعي، واعتمادهما كخطابات إيديولوجية لترسيخ واقع ما، فالتحويلات التي أدخلت على النصوص السابقة، هي بمثابة شيفرة محملة بدلالات التحريف والتزييف التي يقوم بها صناع الآلهة، للسيطرة على ألباب الشعوب والتحكم في مصائرهما .

ومن جهة أخرى هي انعكاس للواقع المقلوب، الذي سادت فيه الغربان والفئران والثعالب، وانكمش فيه حي بن يقظان والشيخ المحذوب وعسل النحل ونور الشمس وسنان الرمح وشذا الزهر والشرفاء، واغتيل فيه الهدهد صاحب النبأ العظيم، وطورد الأسمر ذو العينين العسليتين، فشر البلية ما يضحك، وفي القديم قال الشاعر أبو الصيش: (11)

ومن يكن الغراب له دليلاً * * * فناووس الجوس له مصير
وقال آخر: (12)

من يكن الغراب له دليلاً * * * يمر به على جيف الكلاب
وصفوة القول:

ففضول كوميديا المدينة المومس التي تسيطر عليها الشياطين بعد هروبها، بسبب ضعف الشيخ، تسير وفق منطق المناكيد، فنواطير الأمصار نامت عن ثعالبها، والنخلة رمز المدينة نون الفاضلة والأصيلة سحقت تحت وقع الأحذية، الحلم بانبعائها عليه سرادق، التخلص منها يستدعي فهم محاور هندسة مدونة عز الدين جلاوجي.

إحالات:

(1) - الباروديا "parodie" عند باختين، هي نوع من الأسلبة تكون فيها قصيدة اللغة المشخصة متعارضة مع مقاصد اللغة المشخصة مما يجعل اللغة الأولى تعمل على تحطيم الثانية، ويشترط في الباروديا أن تعيد خلق لغة بارودية وكأنها كلٌّ جوهري متوفر على منطقته الداخلي، وكاشف لعالم متفرد مرتبط باللغة التي كانت

موضوعا للباروديا...، ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1987، ص: 28 _ 29.

¹: عز الدين جلاوي، سراق الحلم والفجيرة، دار هومة الجزائر، ط 1، ص: 130.

²: الرواية ص: 07.

³ - الرواية ص: 130 .

(*) - يورد باختين ثلاث طرائق لتشبيد صورة اللغة في الرواية :

- الحوار الخالص، الصريح.
- التهجين : أي مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد .
- تعالق اللغات والملفوظات من خلال الحوار الداخلي : أي دخول لغة الرواية في علائق مع لغات أخرى، من خلال إضاءة متبادلة بدون أن يؤول الأمر إلى توحيد للغتين داخل ملفوظ واحد، صيغ هذا التعالق هي :
- الأسلبة : أي قيام وعي لساني معاصر بأسلبة مادة لغوية " أجنبية " عنه، يتحدث من خلالها عن موضوعه، فاللغة المعاصرة تلقي ضوءا خالصا على اللغة موضوع الأسلبة، فتستخلص منها بعض العناصر وتترك البعض الآخر في الظل.
- التنويج : نوع من الأسلبة يتميز بأن المؤسلب يدخل على المائة الأولية للغة موضوع الأسلبة، مادته " الأجنبية " المعاصرة (كلمة، صيغة جملة ،...) متوخيا من وراء ذلك أن يجتبر اللغة المؤسلبة بإدراجها ضمن مواقف جديدة مستحيلة بالنسبة لها .

الباروديا : نوع أساسي من الأسلبة يقوم على عدم توافق نوايا اللغة المشخصة مع مقاصد اللغة المشخصة، فتقاوم اللغة الأولى الثانية وتلجأ إلى فضحها وتحطيمها الخطاب الروائي: مصدر سابق ص: 18.

(⁴) - رجاء بن سلامة، العشق والكتابة، منشورات الجمل، 2003، ص: 19.

(⁵) - قصيدته الشهيرة التي ضمنها ما بنفسه من مرارة على كافور وحاشيته، والتي

كان مطلعها:

- عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ * * * بما مَضَى أمْ لأمرٍ فيكَ بجدٍ
أما الأحيّةُ فالبيداءُ دونهمُ * * * فليتَ دونكَ بيّداً دونها بيّد
لولا العلى لم تجبْ بي ما أجوبُ بها * * * وجنّاءَ حرّفٍ ولا جرداءَ قيّدودُ
وكانَ أطيّبَ من سيفي مُعانقَه * * * أشباهَ رونقهِ الغيّدُ الأماليدُ
لم يتركِ الدهرُ من قَلبي ولا كبدي * * * شيئاً تُتيمهُ عينٌ ولا جيدُ
يا ساقبيّ أحمَرُ في كؤوسكُما * * * أمْ في كؤوسكُما همّ وتسهيدُ؟
أصخرةٌ أنا، ما لي لا تُحرّكي * * * هذي المدامُ ولا هذي الأغاريدُ
إذا أردتَ كُميتَ اللّونَ صافيةً * * * وجدّتها وحبيبُ النفسِ مَفقودُ

ماذا لقيتُ من الدنِّيا وَأَعَجِبُهُ * * أني بما أنا شاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ
 أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا * * أنا الغيِّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ
 إِيَّيْ نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ، ضَيْفُهُمْ * * عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ
 جُودُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ * * مِنَ اللَّسَانِ، فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ * * إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ
 أَكَلَمًا اغْتَالَ عَبْدُ السَّوِّ سَيِّدَهُ * * أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ
 صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْأَبْقِيَاءِ بِهَا * * فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِيهَا * * فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بَأَخٍ * * لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ * * إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَتَاكِيدُ
 مَا كُنْتُ أَحْسَبِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ * * يُسِيءُ بِي فِيهِ عَبْدٌ وَهُوَ مَحْمُودُ
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا * * وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ
 وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُنْقُوبَ مَشْفَرُهُ * * تُطْبِعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ
 جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكِي * * لَكِي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ
 وَيَلْمُهَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا * * لِيَمِثْلَهَا خُلُقَ الْمَهْرِيَّةِ الْقُودُ
 وَعِنْدَهَا لَدَّ طَعَمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ * * إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الدَّلِّ قَنْدِيدُ
 مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً * * أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصِّيدُ
 أَمْ أَدْنُهُ فِي يَدِ النَّحَّاسِ دَامِيَّةً * * أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفِلْسِينِ مَرْدُودُ
 أَوْلَى اللَّتَامِ كُؤَيْفِيرٌ بِمَعْدَرَةٍ * * فِي كُلِّ لُؤْمٍ، وَبَعْضُ الْعُدْرِ تَفْنِيدُ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً * * عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةَ السَّوْدُ؟

(6) - قسما بالتنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
 والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشاخات الشاهقات
 نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا
 نحن جند في سبيل الحق ثرنا وإلى استقلالنا بالحرب قمنا
 لم يكن يصغى لنا لما نطقنا فاتخذنا رنة البارود وزنا
 وعزفنا نغمة الرشاش لحننا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا
 يا فرنسا قد مضى وقت العتاب وطوبناه كما يطوى الكتاب
 يا فرنسا إن ذا يوم الحساب فاستعدي وخذي منا الجواب

إن في ثورتنا فصل الخطاب وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا
 نحن من أبطالنا ندفع جنـداً وعلى أشلائنا نصنع مجداً
 وعلى أرواحنا نصعد خـلداً وعلى هاماتنا نرفع بنـداً
 جبهة التحرير أعطيناك عهداً وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا
 صرخة الأوطان من ساح الفدا اسمعوها واستجيبوا للندا
 واكتبوها بدماء الشهداء واقروها لبني الجيل غدا
 قد مددنا لك يا مجد يداً وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا

- (7) - خطبة طارق بن زياد:

لما بلغ طارق اقتراب لذريق بجيشه القوطي الكثيف قام في أصحابه، فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم حث المسلمين على الجهاد ورجبهم في الشهادة ثم قال: "يا أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزرَ لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وأن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهبت ربحكم وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي.
 واعلموا أنكم إن صرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالألفة الألد طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغت ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدرّ والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربنا، ورضيكم للملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجادلة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي إجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين.
 واعلموا أنني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحلوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني

في عزيمتي هذه، واحلوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده
يُحذون".

المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بيروت 1968 ج 1. ص: 240
(8) - الخطبة البتراء، وسُميت البتراء لأنه لم يبتدي بالحمد وذكر الله حدث عبد الملك بن عمير
الليثي قال بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة - وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يجرج
الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه- إذ أتى أت فقال: هذا الحجاج قد قدم أميراً
على العراق. فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلدا سيفاً،
متنكباً قوساً، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال
الناس بعضهم لبعض:

قبح الله بن أمية؛ حيث تستعمل مثل هذا على العراق. حتى قال عمير بن ضائب البرجمي: ألا
أحسبه لكم؟

فقالوا: أمهل حتى ننظر.

فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه، ونهض، فقال: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني ثم قال: يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحل الشر بحمله، وأحذوه
بنعله، وأجزيه بمثله، وإنني لأرى أبصاراً طالحة، وأعناقاً متطاوله، ورؤوساً قد أينعت وحن
قظافها، وإنني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحي تترقرق، ثم قال
:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم *** قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا عنم *** ولا يجزار على ظهر وضم

ثم قال:

قد لفها الليل بعصلي *** أروع خراج من الدوي
مهاجر ليس بأعرابي

ثم قال:

قد شرت عن ساقها فشدوا *** وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد *** مثل ذراع البكر أو أشد
لا بد مما ليس منه بد إني والله يا أهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوي الأخلاق ما
يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جاني كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة،
وجريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم
عيدانها، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً، فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن،
واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي.

أما والله لأحونكم لحو العصا، ولأقرعنكم قرع المروءة، ولأعصبنكم عصب السلمة،
ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل؛ فإنكم لكأهل قرية كانت أمانة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً
من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.
وإني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت؛ فإياي وهذه الشفعاء

والزرافات والجماعات، وقالوا وقيل، و«ما تقول؟» و«فيم أنتم وذاك؟» أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده! وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم غاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه، وأنهبت ماله، وهدمت منزله.

الكامل في اللغة والأدب المبرد 1/2 ص 622.

(⁹) - ميخائيل باختين : الخطاب الروائي ، محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 ، ص : 18

(¹⁰) - ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ص : 31.

(¹¹) - أبو منصور الثعالبي ، التمثيل والحاضرة ، ت عبد الفتاح الحلو ، دار العربية للكتاب ، ط 2 ، 1983 ، ص : 498 .

(¹²) - الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، لبنان ، 1992 ، ج 1 ، ص : 153 .